قصـــــــة

عضو بعثة

للدكتور ابراهيم أنيس

وجد « خليل » نفسه وحيداً فى فندقه الصغير وقد بدأ اليأس يتسرب إلى نفسه لأنه قضى شهراً كاملا يبحث عن أسرة يسكن معها .

حين كان « خليل » يعد نفسه للرحيل إلى انجلترا لم يترك أحداً من أصدقائه أو معارفه ممن كانوا هناك إلا سأله عن خير نصيحة يمكن أن يقدمها إليه . وقد أجمع الكل على أنه من الخير لكل مصرى يرحل إلى انجلترا أن يقيم مع أسرة ولكنهم اختلفوا فى أسباب نصيحتهم هذه . فمنهم من قال إن خير وسيلة لاتقان اللغة الانجليزية هى السكنى مع أسرة . واخر بدأ يحدث « قليلا » عن أن المرء فى غربته بحاجة إلى الحنان والعطف ممن حوله ولن يجد هذا إلا فى الأسرة . . وثالث أكد لخليل أن الأسرة تعين على الاتصال والاختلاط ومقابلة الفتيات الحسان .

وقد دهش « خليل » لأنه راهم جميعاً ينصحون بأمر واحد ويختلفون فى علة هذه النصيحة .

ولسنا ندرى أى هذه الأسباب صادف هوى فى نفس « خليل » ولكننا نعلم أنه منذ وصوله أخذ يجد البحث عن أسرة . ثم أعياه السؤال عما ينشده وكاد ييأس لولا أن رأى بريقا من الأمل فيما أخبرته خادم الفندق حين أسر اليها برغبته هذه فقد نصحته بنشر إعلان فى أحد الصحف المحلية . ثم نشر الاعلان وكانت صيغته

« طالب مصرى يعمل فى حقول التجارب الزراعية ، بأسلاو » يبحث عن أسرة كريمة يعيش معها على أن يكون الضيف الوحيد »

و « أسلاو » هذه بلدة صغيرة قرب لندن فيه حقول التجارب الزراعية ، لجامعة لندن العظيمة . وقد أرسل « خليل » هناك لأنه كان عضو بعثة وزارة الزراعة المصرية .

وتوقع « خليل » فى اليوم التالى لنشر إعلانه أن تنهال عليه الرسائل ردا على هذا الاعلان . ولكن خاب ظنه حين جاءته رسالة واحدة فى بريد الظهر من مسز « جراهام » .

مسز « جراهام » سيدة مسنة تعيش مع زوجها أحد أصحاب الأعمال فى « اسلاو » منذ أربعين عاما ، وقد رزقت فى كل حياتها الزوجية الطويلة إبنا واحداً شاءت الأقدار أن يرحل عنها إلى بلاد الهند ليعمل فى إحدى الشركات الكبرى هناك حزنت مسز « جراهام » على فراق ولدها الوحيد حزناً عميقاً ولكنها كمعظم أمهات الانجليز لم تشأ أن تقف فى سبيل مستقبله فتركته يرحل على مضض منها ليكون حياته كما يرغب . وقد لبثت تكتب لولدها فى كل اسبوع رسالة تحدثه فيها عما يدور فى محيطها الضيق مما جعل رسائلها اخر الامر تتكرر أخباراً متشابهة . وأحس ولدها بنغمة الوحشة التى كانت تحيط بأمه فكتب إليها يرجوها ويلح فى الرجاء أن تبحث كما هى عادة كثير من الانجليزيات ذوات اليسار — عن سيدة تعيش معها لا كخادم بل كعضو فى الأسرة تأكل معهم وتجلس معهم وتشاركهم فى القيام بشئون الدار .

وأخيراً أذعنت مسز « جراهام » لنصح ولدها ونشرت إعلاناً أيضاً فى الصحيفة المحلية فى نفس اليوم الذى نشر فيه « خليل » وشاء حسن حظه أن ينشر إعلانه بجوار إعلانها .

وفى المساء جلست مسز « جراهام » بجوار المدفأة وبيدها الصحيفة تقرأ إعلانها فلفت نظرها إعلان « خليل » فقرأته أيضاً .

وهنا مرت لحظات غابت فيها عن صوابها وأخذت تفكر فى حال ولدها ببلاد

الهند . وصور لها خيالها كل الأمهات صوراً مظلمة عن حياته هناك وتخيلت أنه ربما لا يجد أيضاً أسرة يسكن معها ويطمئن اليها ذرفت عبرات حاره وفجأة قامت تكتب لخليل وتطلب اليه أن يزورها فى وقت حددته له لا لانها صممت على أن تسكنه معها ولكن دفعها حب الاستطلاع أن تسمع منه قصته وما كان من شأنه .

ثم رأت مسز « جراهام » نفسها فى اليوم التالى لاول مرة فى حياتها أمام شاب أجنبى يتحدث اليها بلغة مفهومة وان تخللها كثير من الاخطاء ورقت هذه السيدة الكريمة لحال « خليل » ووعدته بعد حديث طويل بالتفكير فى الامر

وفى مساء ذلك اليوم دار حوار طويل بين مسز « جراهام » وزوجها هو يحاورها عن طريق العقل وهى تجادله عن طريق القلب وأخيراً قر رأى الزوجين على سكنى « خليل » معهما .

عاش « خليل » مع هذه الاسرة ثلاث سنوات وكان كلما مر به الزمن معهم ازدادوا حبا له وشغفا به وزاد هو أيضاً حباً لهم وشغفاً بهم ، ورأى « خليل » فى مسز « جراهام » حنان أمه وعطفها ، ورأت هى ايضاً فيه شباب ولدها وفتوته .

وكم جلس « خليل » يحدثها هى وزوجها عن مصر وصفاء سمائها واشراق شمسها وعذوبة ماء نيلها وعما فيها من رخاء وعن عادات قومها واثارها . مما جعلها تتمنى لو عاشت ما بقى لها من العمر فى بلاد « خليل »

وهى أيضا جعلت من نفسها معلمة له تصلح من اخطائه اللغوية وتحدثه عن عادات الانجليز وتاريخهم فجعلته بعد زمن قليل يحس كأنما كانت انجلترا وطنا ثانياً له .

ودهش مستر « جراهام » حين رأى زوجته التى تعودت أن تقضى معظم الايام فى فراشها يعود اليها نشاطها ولا ترى الا باسمة فكأنما قد أعادت حياة « خليل » معهما ما فقدته لفراق ولدها من صحة وقوة . وقد كانت تأبى الا أن ترتب لخليل سريره بيديها وأن تدقئه بقربتين صغيرتين من الماء الساخن .

وتعود أهالى « أسلاو » أن يروا ذلك الشاب الاسمر الطويل القامة المجعد الشعر

ذا الاسنان اللامعه الذى أشرب وجهه بحمرة تنم عن صحة وعافية وهو يمر بهم فى طرقات المدنية مثالا للرجولة والفتوة فكان دائما موضع اعجابهم ولكنهم كانوا لايتحدثون اليه خجلا منهم وحياء فيكتفون بالابتسام . حتى كان يوم أصبح فيه « خليل » حديث الناس فى هذا البلد الصغير يذكرونه وكلهم ثناء عليه واعجاب بشهامته ومروءته وذلك ان المارين فى الشارع العام بالمدينة شاهدوا فتاة صغيرة تعدو ووراءها سيارة تكاد تصدمها وفقد السائق توازنه فلم يستطع وقف سيارته وصاح الرجال وصرخ النساء وفجأة راى الناس « خليلا » ينطلق انطلاق السهم غير مبال بالاخطار ثم يخطف الفتاة عائدا بها يحملها بين ذراعيه القويتين لم يمسسها ضر او اذى .

ومنذ ذلك الحادث بدأ أهالى « أسلاو » يتحدثون الى « خليل » كلما صادفوه أو يحيونه كلما قابلوه . وذاع ذكره بينهم فلقبوه بالمصرى النبيل . فاذا كانت معه مسز « جراهام » ذات يوم سارت تعتمد على ذراعه وكلها زهو وفخر بضيفها المصرى أو قل بصديق الاسرة الشاب الذى أصبح يحل منها مكان الابن البار

ومضت الايام وأدى « خليل » امتحانه النهائى بنجاح وكان عليه ان يعود الى مصر فعز هذا الخاطر على مسز « جراهام » وكأنما قد افاقت هى وزوجها من حلم لذيذ استمر ثلاثة أعوام كانت لما تخللها من سرور وسعادة كثلاثة ايام . واذا بخليل يعد نفسه للرحيل فكانت صدمة أخرى لمسز وجراهام لايعدلها الا الصدمة الاولى لفراق ولدها ولكن ماحيلتها وقد انقضى الاجل المحدد له فى البعثة وقد ادى المهمة التى ارسل من اجلها

وعلى مضض منهم جميعا قابلوا الحقيقة المرة بهدوء وصمت . وفى ليلة الرحيل دعت مسز « جراهام » الاصدقاء والمحبين فى حفل عائلى صغير لتوديع « خليل »

وكان ان اجتمع المدعوون وبدءوا يتسامرون ويلهون ومسز « جراهام » عن كل هذا لاهية ذاهلة شاردة الفكر تبدا الحديث فى موضوع ولا تكاد تنتهى منه حتى تشرع فى غيره

وطلب الحاضرون منها اخر الامر ان تتكلم فأبت فالحوا فى السؤال فوقفت بين تصفيقهم وتهليلهم وبدات القول والدموع تترقرق فى عينيها فاقلت من الكلام ولكنها احسنت التعبير عن قليل مما تكنه لخليل ثم كان اخر قولها ان قالت

« مازلت اترنم بقول شاعرنا « كبلنج » الشرق شرق والغرب غرب ومحال ان يلتقى التوامان حتى قابلت « خليلا » فاصبحت اقول الشرق غرب والغرب شرق وعلى التوامين ان يلتقيا

ابراهيم أنيس
المدرس بدار العلوم